الطريقة الدرقاوية بالجزائر: الحضور والأثر

د. مختار بونقاب .
جامعة معسكر

Abstract:

-We Will analyze this study through the brotherhood of Derkaoua as practice Sufi maghrébine.Nous try to view the temporal conditions of its emergence in Algeria as order and then study its different sections as zaouia. and the role that it has played religiously .culturel. Educational and socio-political.

Keywords:

Derkaoua- zaouia- soufie maghrébine.- Algeria to the Ottoman era

لعل من المواضيع الهامة التي لم تحض بالاهتمام المناسب من قبل الباحثين والدارسين لتاريخ الجزائر الحديث، المواضيع ذات الطابع الثقافي، هذا إذا استثنينا بعض النماذج والجهود النادرة التي اهتمت بالموضوع كالعمل الموسوعي الذي قام به سعد الله في مؤلفه الموسوم ب "تاريخ الجزائر الثقافي ".

مع ذلك وداخل هذا الزخم من ماضينا الثقافي وتراثنا المجيد، لا تزال بعض المواضيع جديرة بالدراسة والبحث بخاصة ما يتعلق بالطرق الصوفية، ومنها الطريقة الدرقاوية لما تميزت به من قوة ونفوذ من جهة، ولما لعبته من أدوار ووظائف من جهة أخرى . على الأقل خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي الأمر الذي جعلها تبرز في واجهة الكثير من الأحداث والوقائع التي عرفتها البلاد .من هذا المنطلق حاولنا في هذه الورقة البحثية الموسومة ب: الطريقة الدرقاوية بالجزائر: الحضور والأثر " الوقوف على نشأتها و أصل تواجدها بالجزائر، وأهم أدوارها خاصة الدينية التربوية، متسائلين عن نشأتها وأصول تواجدها بالجزائر؟ وكذا أهم مشاربها الفكرية و الفلسفية ؟ و أهم فروعها، وصولا إلى منهجها في التربية الصوفية، ومدى مساهمة شيوخها وأتباعها في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر سواء الثقافي أو الاجتماعي ؟

نشأة الدرقاوية وأصول تواجدها:

تجمع المصادر على أن الدرقاوية طريقة صوفية مغربية متفرعة عن الشاذلية، وأن أول من دعا إلى مذهب الدرقاوية هو "الشريف إدريس" المدعو علي بن عبد الرحمن الجمل أو الجمال. هو أبو الحسن بن عبد الرحمان الجمل الفاسي من جماعة العمرانيين الذين استوطنوا في الشمال الغربي من مدينة فاس المغربية، وهو من أشهر الفقهاء الذين عملوا حسب تعاليم القرآن الكريم والعقيدة الصوفية الشاذلية، سافر إلى تونس أين درس على عدد من شيوخها، وعند رجوعه إلى فاس درس التصوف فكان من المتصوفين العارفين الذين أحاطهم الناس بالسمعة والقداسة [(1)]أسس الشيخ علي الجمال زاوية في فاس، وكان من أشهر تلامذته " مولاي العربي الدرقاوي ."رغم أن العربي الدرقاوي كان مؤسس الطريقة ومنظمها إلا أنها تنسب إلى أحد أسلافه، وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف الملق[2]ب بأبي درقة. [(3)].

أما مولاي العربي الدرقاوي فقد نظم الطريقة ووضع أسسها على قواعد صحيحة، كما أكمل نشر تعاليمها[(4)] . وهو من بني زروال المراكشيين، ولد سنة 1150هـ/ 1737م من أسرة شريفة بقبيلة بني زروال التي نشأ بها. اهتم بالقراءة فحفظ القرآن وأتقنه، ثم اشتغل بالعلم فتتلمذ على الشيخ أبي الحسن سيدي علي الجمل الذي أخذ عنه علم الباطن بعد ما كان قد تحصل على علم الظاهر. [(5)]كما تلقى عنه الورد العام، ثم الورد الخاص بعد أن اختبره.

في بني زروال، أسس الدرقاوي زاويته، واهتم بالإرشاد والتربية فكثر أتباعه ومريدوه، وزاد عدد طلاب العلم عنده. امتاز مولاي العربي بأخلاقه الفاضلة ومخالفة النفس والهوى، واستطاع الجمع بين الشريعة والحقيقة وبين العلم والتربية فاعتبر من أكابر الشيوخ الذين أعطوا للشاذلية دفعا قويا وجديدا. إذ يصفه عبد الباقي مفتاح بالمجدد الأكبر للتصوف عموما وللشاذلية خصوصا خلال القرن الثالث عشر الهجري. [(6)]كان العربي الدرقاوي يمشي مرتكزا على عصا تقليدا لسيدنا عيسى عليه السلام ويلبس المرقع تقليدا لسيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما، ويحمل السبحة حول عنقه تقليدا لأبي هريرة رضي الله عنه، ويعيش حياة

عزلة تقليدا لسيدنا عيسى عليه السلام .[7] بالإضافة إلى الشيخ الجمل تتلمذ العربي الدرقاوي على عدة شيوخ منهم:

- الشيخ أبو عبد الله بن محمد بن علي الحسني .
- الولي سيدي العربي البقال .



أما نسبه للطريقة الشاذلية فقد مثلناه بالشكل التالي تقريبا للصورة: [8]



توفي العربي الدرقاوي سنة 1239هـ/1823 م، ودفن بزاويته في جبل بوبريح بعد أن نشر مبادئ الطريقة وتعاليمها مخلفا عددا كبيرا من الشيوخ والمربين و لذلك لقب ب: قطب الدائرة.[9]تعتبر الدرقاوية من الطرق الصوفية الهامة في المغرب الأقصى باعتبارها مثلت روح الشعب وإلهامه، كما قادته في جهاد الأجانب .

الطريقة الدرقاوية في الجزائر:

انتشرت الدرقاوية بالجزائر وخاصة في الإقليم الغربي منها عن طريق بعض المقدمين والأتباع الذين كونوا زوايا تابعة للزاوية الأم، أو زوايا منفصلة عنها كما سنوضح ذلك، وكان مولاي العربي الدرقاوي في حياته حريصا على تزويدهم بقواعد السلوك من خلال رسائله .

ولعل من أسباب سرعة انتشارها الاعتماد على الريف كمجال لنشر تعاليمها وأفكارها مستغلة بعده عن الحكم المركزي من جهة، والمستوى العقلي لسكان الريف من جهة أخرى[10]

تعاليم الطريقة الدرقاوية:

إن تعاليم الطريقة هي مجموعة الوصايا التي كان يوصي بها العربي الدرقاوي أتباعه. وتتمثل في التالي:

. ذكر الله عن طريق التمايل .

. الامتناع عن الكذب .

. تجنب أصحاب السلطان والحكم .

. الإكثار من التعبد ليلا ونهارا .

. كبح الشهوات والصبر على الجوع .

. الابتعاد عن الأمور الدنيوية .

. التشدد في التقشف .

. لبس الرث من الثياب .

فكثيرا ما كانوا يلبسون الثوب المرقع . الخرق أو الدربالة . لذلك لقبوا ب: " أبي دربالة" أي صاحب الثوب المرقع.[11] . والدرقاوية رغم محافظتها على أذكار وأوراد الشاذلية إلا أنها جددت الشاذلية عن طريق الممارسات الصارمة والانضباط المثالي .فهي أساسا حركة تهدف إلى تجديد الطريقة الشاذلية بالتشدد في التقشف والابتعاد بها عن الشؤون الدنيوية[12]

المنهج الديني والتربوي للطريقة الدرقاوية:

هدف كل طريقة صوفية على ما يبدو هو التربية والترقية، ذلك رغم اختلافها في الأساليب. وللوصول إلى هذه الغاية فان الطريقة الدرقاوية تلزم أتباعها بالشروط التالية:

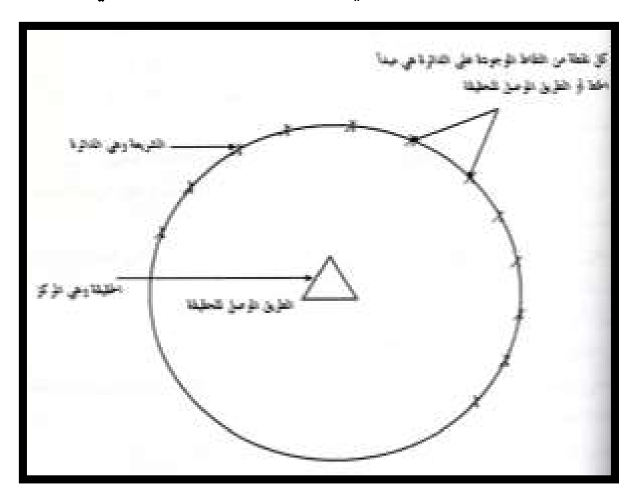
أولا: الالتزام ظاهرا وباطنا في جميع الأحوال بالشريعة، فهي أساس الطريقة وغايتها . والشريعة هي مجموعة الأحكام التي وردت عن الشارع والمعبر عنها بالدين . وتتضمن الشريعة فضلا عن

الناحية الإعتقادية الجوانب التشريعية والاجتماعية، فهي قاعدة السلوك، ولا يمكننا فصلها عن الحقيقة، أو الطريقة:

- الشريعة هي أوامر الله تعالى ونبيه عليه الصلاة والسلام من الأحكام التي ورد بها التكليف والمعبر عنها بالدين .
- الطريقة هي الأخذ بالتقوى وما يقرب إلى الله تعالى من قطع المنازل والمقامات .
- أما الحقيقة فهي ما ورد به التعريف أي الوصول إلى المقصد ومشاهدة نور التجلي .

وقد جمع الله تعالى بينهم في عدة آيات كقوله: " إياك نعبد وإياك نستعين ".[13].إياك نعبد هي حفاظا للشريعة . وإياك نستعين هي إقرار بالحقيقة . وكل شريعة حقيقة، وكل حقيقة شريعة، كما أن الحقيقة هي نتيجة للطريقة لا العكس.[14]

لتقريب الصورة أكثر مثلنا العلاقة بين الشريعة والحقيقة بالشكل التالي وهو من إعدادنا:



ثانيا: يجب على المريد أخذ الطريقة عن الشيخ المربي الحي وصحبته لوجه الله تعالى . ويرى القوم أن ملازمة الشيخ وحرمته والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه أمر واجب .وفي هذا السياق يقول ابن عاشر هذه الأبيات من كتاب التصوف:[15]

يصحب شيخا عارف المسالك يقيه في طريقه المهالك

يذكـره الله إذا رأه ويوصل العبد إلى مولاه

يحاسب النفس على الأنفاس ويزن الخاطر بالقسطاس

إلى أن يقول:

يجاهد النفس لرب العالمين ويتحلى بمقامات اليقين

فالتربية الكاملة تكون بالأخذ عن الشيخ المربي الحي الذي حصل على جميع المقامات في طريق السلوك . وتتمثل المهمة التربوية لهذا الشيخ في ثلاثة مسائل أساسية هي:

التخلي: معناه أن يتخلى المريد عن جميع الرذائل والصفات القبيحة، فيهذب نفسه ويطمئن قلبه استعدادا للسير في الطريق . وهي المرحلة الأولى .

التحلي: يقصد به التحلي بالفضائل والصفات الحميدة . وهي المرحلة الثانية .

التجلي: هو الوضوح والكشف، والوصول إلى المقام العالي . وهي المرحلة الثالثة .

إذا مات الشيخ على الأتباع أن ينقادوا لمن خلفه، ولا يخرجون عن طوعه وإرادته . [16]

ثالثا: إتباع المريد للشيخ المربي: ذلك بالانتهاء عن المحرمات والمكروهات، والالتزام بالفرائض والسنن، ثم الالتزام بالأوراد، والعلم، والمذاكرة، والمحبة ،وهي بمثابة الأركان الأربعة للطريقة الدرقاوية.[17]

أوراد الطريقة الدرقاوية:

إن فضل الأذكار والأوراد وأهميتها يكمن في الوصول إلى درجة الإحسان .ويعرفها سيد نور بن سيد علي على أنها تمارين لطائفية ودورات قلبية تدريبية يتغلب بها المريد على الثورات النفسية وتقطع الخطوات الباطنية، ثم يثبت ويرسخ حضور الله تعالى في القلب، ومن ثم يحصل المريد على درجة الإحسان.[18] فالأذكار والأوراد وسيلة لتنقية القلب من كل هم وكدر، والانشغال بالله تعالى لا غير وللدرقاوية ثلاثة أنواع من الأوراد هي كالتالي:

أ/ الورد اللازم: هو الورد الذي يلازم المريد ولا يفارقه من حيث الأوقات، إذ تحدد له فترات زمنية معينة، وهو قراءة واحدة في النهار وأخرى في الليل مايلي: الاستغفار، والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، وقول: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير". كل ذلك مائة مرة ، ثم قراءة سورة الإخلاص ثلاثا، والفاتحة وتلاوة جزء من القرآن، والدعاء .

ب/ أوراد غير لازمة: هي غير الملازمة للمريد، لا تقدم إلا لمن طلبها وذلك لتدعيم الورد اللازم، أي ليست مفروضة على المريد، وغير محددة بأوقات معينة: كالأحزاب الشاذلية، والصلاة المشيشية، وأسماء الله الحسنى، وأدعية ... [19].

ج/ الورد الدائم: هو الذي يلتزم به المريد في جميع الأحوال النفسية: حالات المرض، الضيق، السفر... ويتمثل عند الدرقاوية في قول: " لا إله إلا الله "التي يتدرج ذاكرها من توحيد الأفعال في علم اليقين، إلى توحيد الصفات في عين اليقين، إلى توحيد الذات في حق اليقين .يشترط في ذكر الله تعالى أن يكون في البداية على انفراد تفاديا للوساوس النفسية، كما لا يجب أن يكون مجرد ترديد باللسان، وإنما هو تفكير في عظمة الله سبحانه وآلائه بهدف تحول تصور عقيدة الرؤية والمشاهدة القلبية إلى اليقين تدريجيا . [20]

مراحل الترقي:

تتمثل في مرحلتين متكاملتين: مرحلة الذوق والوجدان، ومرحلة الشهود والعرفان.

أما مرحلة الذوق الوجداني فهي تدرج المريد عبر مقامات النفس من الأمارة بالسوء، إلى اللوامة، إلى المطمئنة، فالراضية، فالمرضية، فالملهمة، فالكاملة ، وذلك بتهذيب روح الفقير تدريجيا عبر المراتب والمقامات بهدف الوصول إلى التخلق بأخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام.أما مرحلة الشهود والعرفان فهي العروج عبر مراتب الوجود، إذ بعد الحصول على مراتب الإسلام، و الإيمان، والإحسان ، يحدث التطور عبر العوالم التالية: عالم الملك، عالم الملكوت، عالم الجبروت، عالم العزة .ف التربية الروحية للدرقاوية هو الانتقال من مرحلة

المعاينة أي المراقبة إلى المشاهدة، وهي رؤية الله تعالى في كل شيء، والترقي من علم اليقين الذي يتصف به السالك قبل الدخول في الطمأنينة إلى حق اليقين.(21)

ثورات الطريقة الدرقاوية بالجزائر

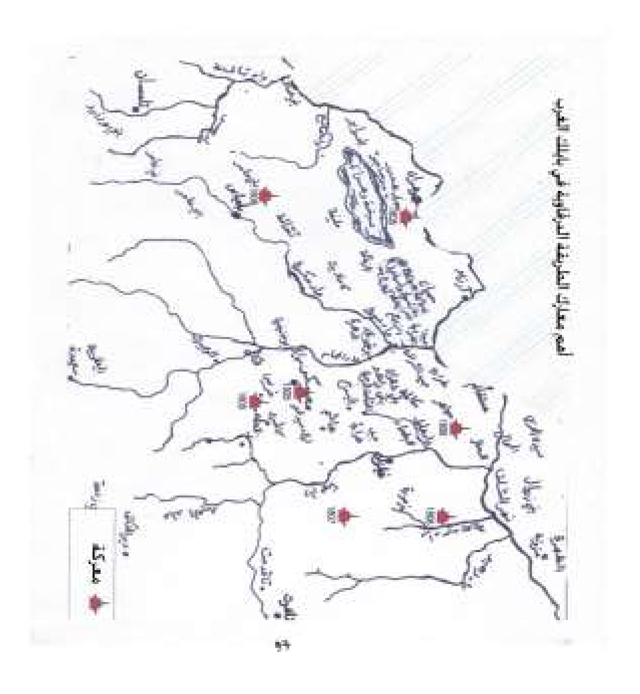
كثيرا ما ارتبط اسم درقاوة بالثورة نظرا لحركاتهم وثوراتهم بالجزائر ضد الوجود العثماني، أو لمقاوماتهم للاحتلال الفرنسي ، وسنوجز ذلك في التالي:

فترة التواجد العثماني: (22)

أ / ثورة ابن الأحرش البودالي: 1804م . في منطقة وادي الزهور، نواحي قسنطينة .

ب / ثورة عبد القادر بن الشريف الدرقاوي: 1805م . في بايلك الغرب: معسكر، وهران.

خريطة توضيحية لمعارك الطرقة الدرقاوية في الجزائر:



مرحلة الاحتلال الفرنسي: [23]

أ / محاولة محمد بن إبراهيم الثورة ضد فرنسا في الغرب الجزائري، نواحي واد العبد، ونواحي غريس بمعسكر.

ب / ثورة الحاج موسى الدرقاوي: 1833م/1849م، في نواحي شرشال والمدية .

ج / ثورة عبد الرحمن العامري: 1845م بنواحي سيدي بلعباس .

فروع الطريقة الدرقاوية بالجزائر:

1. الطريقة الهبرية: يرتبط اسم الهبرية بـ الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الهبري العزوي المولود عام 1823 م، ويعود أصل الشيخ الهبري إلى عائلة مرابطية من أولاد بوعزة، دوار أولاد الزعيم ، كان في بداية أمره مقدما لزاوية في منطقة الريف ثم أصبح زعيم نواة إخوان. [24]أما نسبه بالدرقاوية فيتصل بالشيخ محمد بن قدور الوكيلي الكركري عن الشيخ أبي عزة المهاجي الذي أخذ عن مولاي العربي الدرقاوي . [25].

كانت زاويته في ضربوية أو دربوية في بني يزناسن وامتد نفوذها ما بين جبال الريف غربا ووهران شرقا. وانتشرت زواياها بعد ذلك في كل من سعيدة، ومعسكر، وتيارت ... والملاحظ أن الهبرية قد تمسكت بمبادئ وتعاليم وأوراد الطريقة الدرقاوية، فامتازت بالتشدد واتهمت بالتعصب في الدين، إذ جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن الشيخ الهبري كان مثالا للدرويش المتعصب الذي يكره غير المسلمين ولا يعترف بسلطان لغير أشياخه في الدين. [26] لا يزال أتباع الهبرية في الكثير من زواياها بالجزائر ملتزمين بمبادئها وتعاليمها ومحافظين على أذكارها وأورادها ، وهي منتشرة على وجه الخصوص في نواحي تلمسان: ندرومة، مغنية، سبدو، إلى جانب فرندة بولاية تيارت وسعيدة، وسيدي بلعباس، ومعسكر...

أما برنامجها الأسبوعي فيتمثل في التالي: [27]

. الفقه 03 مرات أسبوعيا .

. السيرة النبوية مرة في الأسبوع .

. الأذكار مرة في الأسبوع .

. التربية الروحية مرة في الأسبوع .

أما أذكارها وأورادها فهي:

. قراءة الصلاة المشيشية، نسبة إلى ابن مشيش وهي عبارة عن دعاء .

. تلاوة القرأن الكريم يوميا ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء، ثم الدعاء .

. قراءة الوظيفية وهي مجموعة من الأذكار النبوية والثناء على المصطفى عليه الصلاة والسلام .

. قراءة اللطيفية وهي قصيدة شعرية .

وفي مناسبات المولد النبوي الشريف يكون برنامج الهبرية كالتالي:

. قراءة همزية النبهاني وهي قصيدة شعرية في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام .

. قراءة بردة البوصيري .

. قراءة همزية البوصيري .

تقاسم مشيخة الهبرية عدة شيوخ يختلفون في وسائل تبليغ تعاليم الطريقة، ويتباينون في علاقاتهم مع السلطة والحكم ، فبينما امتاز الشيخ عبد اللطيف.[28]بتواضعه وشدة حيائه وتشدده في الدين مع إلزام أتباعه بمجاهدة النفس والرياضة الروحية والتذلل لله تعالى، والمرور بالخلوة إقتداءا بسيد الخلق للوصول إلى درجة الصفاء، إضافة إلى الإبتعاد عن الدنيا وزخرفها وتجنب أصحاب السياسة ، حيث نرى الشيخ أحمد الهبري[29]. والشيخ السنوسي مصطفى[30]لا يمانعان في ممارسة النشاط السياسي وذلك على غرار مشاركة أجدادهم في مقاومة الإستعمار ، وأنه . حسبهما . لا يوجد تعارض بين إمكانية تعاطي السياسة من وجهتها الإيجابية خدمة للصالح العام ورسالة التصوف الروحية خاصة في الظروف الحالية الصعبة التي تمر بها البلاد وحاجتها إلى كل أبنائها المخلصين فكان الأول عضو المجلس الشعبي الولائي بوهران، والثاني رئيس المجلس الشعبي الولائي بغليزان ، زد على ذلك وصول السيد أبو عبد الله غلام الله إلى مرتبة وزير الشؤون الدينية والأوقاف، وهو من زاوية غلام الله بنواحي تيارت.[31]

2 . **الطريقة العلوية:** يرتبط اسم العلوية بالشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي الملقب بالشيخ حمو البوزيدي الذي تتلمذ عن الشيخ محمد بن قدور الشريف الوكيلي الكركري، وقد أذن له

هذا الأخير بالإرشاد والتربية، وأمره بالذهاب إلى مستغانم أين درس عليه عدد من الفقراء أمثال التاجر الحاج أحمد بن الهاشمي بن محمد بن قدور الوكيلي عن الشيخ محمد بن عبد القادر الباشا عن الشيخ أبي يعزى للشيخ البوزيدي زاويته بحي "تيجديت" فكثر أتباعه وانتشرت تعاليمه . أما شيوخ البوزيدي في الطريقة وسنده الدرقاوي فيتصل اسماعيل الذي بنى بالشيخ المهاجي عن شيخ الدرقاوية مولاي العربي الدرقاوي .

امتاز البوزيدي بكثرة كراماته وحسن خلقه وغزارة علمه ، وقد أخذ عنه بمستغانم بعض من أبنائها وفي مقدمتهم الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة مؤسس الزاوية العلوية، ولد هذا الأخير بمستغانم ما بين 1867 و1874 م على اختلاف الآراء من عائلة عريقة اشتهرت بالعلم والمجد، انتسب أولا لطريقة الشيخ سيدي أحمد بن عيسى المكناسي، ثم اتصل بالشيخ حمو بن الحبيب البوزيدي وأخذ عنه الطريقة الدرقاوية. كان دائم التنقل بين وهران أين يلتقي بفقرائها في محلاتهم الخاصة، وبين مستغانم لملازمة شيخه. سافر إلى مصر وسوريا والهند، وقد أذن له شيخه بالإرشاد وتعمير الزاوية، فأنشأ زاوية أخرى بحي "تيجديت" على شاطئ البحر بمستغانم وأحسن بنائها فجعل بها مسجدا كبيرا للصلوات الخمس، وقاعات للتدريس، ومحلات للفقراء وأخرى للضيوف، وأماكن للخدم. وألحق بها مطبعة . المطبعة العلوية . لطبع تآليف الزاوية، ومخبزة عصرية بتجهيزات عصرية .

انتشرت الطريقة وزاد عدد أتباعها، مما دفعه إلى تأسيس زوايا جديدة في كل من: الجزائر، القبائل، وهران، غليزان، ومعسكر...ووصلت شهرته إلى الخارج. ولعل من خصوصيات الطريقة العلوية التي جعلتها تستقل عن الطريقة الدرقاوية هي استعمال الشيخ العلوي وسائل حديثة لبث أفكاره وتعاليمه، وسائل لم تستغلها الطرق الصوفية الأخرى المختبئة خلف حيطان الزوايا والخلوات، والعبادات الليلية السرية.[32]

إن العصرنة التي ميزت العلوية هي التي ساهمت في انتشارها ودخول بعض الأجانب إلى الطريقة خاصة من الفرنسين الذين يشكك سعد الله في صدقهم وإخلاصهم فيقول: "...وقد دخل الطريقة العليوية بعض الفرنسيين المشبوهين الذين ادعوا اعتناق الإسلام." [33]أما بيرك

فيرى أن تعاليم الطريقة العلوية كانت حسب العديد إنجيل حديث .[34] و قد يكون مرد ذلك تساهلها واعتمادها على أسلوب المسايرة على عكس أغلب الطرق الأخرى . عمل الشيخ بن عليوة الذي اعتبر أحد كبار المشايخ بالجزائر على إصلاح المجتمع وجعله يتماشى مع متطلبات العصر، و بعد وفاته خلفه كل من:

الشيخ عدة بن تونس 1898 / 1952م: ولد بمستغانم، ونشأ في الزاوية العلوية، تربى على يد الشيخ "أحمد ابن مصطفى العلوي" كما درس بجامع الزيتونة. واصل الشيخ عدة بن تونس منهاج شيخه، فنشر الطريقة وأنشأ المدارس وواصل تنظيم الموسم السنوي، وأصدر جريدة "لسان الدين الثانية" 1937 / 1939م و" مجلة المرشد" الشهرية باللغتين العربية والفرنسية 1946 /1952 م و"جريدة أحباب الإسلام".[35].

لم يقتصر دور الشيخ عدة بن تونس على تسيير شؤون الزاوية فحسب بل كانت له مساهمات اجتماعية، وعمالية، وشبابية، ورياضية...أيضا . مما جعله يعد من جموع المصلحين الدينيين .[36] **الشيخ المهدي بن تونس 1928 / 1975 م:** نشأ في الزاوية العلوية، وتربى على يد الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، فحفظ القرآن وألم بعلوم النحو واللغة، تمكن من علوم الحقيقة وأصول الشريعة، امتاز بأخلاقه الفاضلة مما جعله يخلف والده في مشيخة الزاوية عام 1952 م، كان شعاره: الأخوة، المحبة، السلام.[37]أنشأ عددا من الزوايا التابعة للطريقة في الجزائر والمغرب وحتى في أوروبا ، شارك في حرب التحرير، ووضع الزاوية وأعضائها تحت تصرف جبهة التحرير الوطني مما أدى إلى سجنه وتعريض الزاوية وأتباعها للمراقبة.[38] **الشيخ خالد عدلان بن تونس:** وهو الشيخ الحالي للطريقة العلوية، يمتاز بالتسامح والسعي للتفتح على الآخر.

تعد الطريقة العلوية من الطرق المجددة في التصوف من خلال سعيها إلى نشر الثقافة الروحية ومكارم الأخلاق وكذا العمل على إقامة أنشطة تربوية تعليمية واجتماعية، فهي بذلك تهدف إلى نشر العلم والمعرفة وترقية الثقافة والتعاليم الروحية السامية ذات الأبعاد الإنسانية.[39] من هذا المنطلق يتضح أن العلوية طريقة صوفية تربوية ثقافية لا شأن لها

بالمسائل السياسية. وفي هذا السياق يذكر ع. عبد الله أن العلوية تعتبر السياسة لعبة قذرة لأصحابها عالم تتقاذفه الحسابات والمصالح والأهواء، وهو حسب رأيهم يتنافى مع رسالة التصوف الروحية المبنية على الصدق والإخلاص [40]. وعليه فهم غالبا لا يشاركون في الحكم ولا يقبلون المساعدات الحكومية. بل يعتمدون على استقلالية مواردهم المالية التي تبقى مفتوحة أمام الهبات ودعم الأتباع وبعض المحسنين...خاصة وأنهم كانوا قد تصادموا مع الدولة في عدة مناسبات، إذ بعد 1965 م أعلنت العلوية معارضتها ورفضها للاشتراكية، وفي 1968م تم حظر نشاط الطريقة بتهمة التعاون مع قوى أجنبية... رغم ذلك استمر نشاط الطريقة بشكل سري حتى الثمانينات أين برزت بلقاءاتها ونشاطاتها الصوفية ومطبوعاتها .

يتجلى مظهر العصرنة والتجديد في الطريقة في شخص شيخها الحالي خالد بن تونس الذي يعيش في الخارج، ويحضر الملتقيات العلمية والثقافية كمحاضر ومشارك، وغالبا ما يرتدي الزي الأوروبي، يجالس المسيحيين الذين دخل بعضهم الإسلام على يده ، وهذا ما ينكره عليه بعض أتباع الطرق الأخرى. [41]للعلوية مجموعة من المجامع الكبرى التي تنظم سنويا في عدد من المناسبات التي يلتقي فيها أتباع الزاوية وهي: **جمع آخر شعبان:** يلتقي فيه الفقراء للحرص على قيام ليالي شهر رمضان المبارك بالمذاكرة والصلاة على الرسول الأكرم.**جمع العيدين**: عيد الفطر وعيد الأضحى .جمع **أيام المولد النبوي الشريف**: يكون الاجتماع منذ دخول الشهر حتى اليوم الثاني عشر منه. بالصلاة على النبي وشرح الأحاديث الشريفة .

الاحتفال السنوي: غالبا ما يكون في فصل الخريف من كل سنة ، تلقى به المحاضرات، ويجتمع فيه الأتباع، ويدعى إليه الضيوف، ويكون بالزاوية الأم في مستغانم .كان للعلوية السبق في تأسيس الجمعيات الثقافية والدينية التي ساهمت في توعية المواطنين وجعلهم يتفاعلون مع واقعهم المعاش . [42]زيادة على دورها الديني التربوي، للطريقة العلوية أدوار ومشاركات في مجالات أخرى كالتعليم . تقديم دروس تدعيمية للتلاميذ .، والمساعدات الاجتماعية بتنظيم مائدة رمضان، وحفلات ختان الأطفال .، والنشطات الرياضية . [43]وعليه فالعلوية طريقة تتماشى ومستجدات العصر، فشيخها قد دعا منذ الثمانينات إلى ضرورة استعمال واستغلال

الإعلام الآلي لنشر تعاليم الدين وأفكار طريقته ، وفي هذا السياق كتب صاحب مقال الجمهورية أن هذا ما جعلها . الزاوية . دائما حيوية ومتفتحة على الآخر تفتحا يجعلها تقوم بدورها باطمئنان مجسدة أهدافها الروحية والوطنية، و الاجتماعية والفكرية في تكامل متناسق . [44]

3 / **الطريقة الحبيبية**: تنتسب الحبيبية للعالم الفقيه "محمد بن الحبيب الأمغاري الإدريسي الحسني" الذي نشأ بمدينة فاس المغربية من أسرة كريمة شريفة. [45]حفظ القرآن، ودرس بجامع القرويين فتحصل على مختلف العلوم والفنون، وأصبح من العلماء العارفين العاملين . أخذ الطريقة عن الشيخ "محمد بن علي" الذي يعد شيخه وأستاذه في الطريقة، عن الشيخ "العربي بن الهواري" عن الشيخ "محمد بن العربي" عن الشيخ "أحمد البدوي" عن "مولاي العربي الدرقاوي " شيخ الدرقاوية[46]أذن له شيوخه بالبروز وتصدر المشيخة لنشر الطريقة، فأنشأ زاويته المشهورة بمكناس وتوافد عليه الناس لأخذ تعاليم الطريقة . أسس بعد ذلك مجموعة زوايا بالجزائر، كزاوية معسكر، وتنس، والبليدة... وغالبا ما كان يزور مريديه سنويا لإرشادهم وتربيتهم عن طريق مجالس الذكر والمذاكرة في التصوف والعلوم الشرعية . كان الشيخ يعرف التصوف على أنه الجمع بين الحقيقة والشريعة، والالتزام بكتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام . [47].

4/ **الطريقة البوعبدلية**: تنتسب للشيخ "عدة بن الموسوم بن غلام الله البو عبدلي المشيشي الإدريسي" ولد في بطحاء الشلف، حفظ القرآن الكريم، ودرس التوحيد واللغة، والحديث والفلك على يد محمد بن عبد الرحمن . شيخ الطريقة الطيبية . .أثناء تواجده بمازونة، أخذ الفقه على الشيخ "أبي طالب المازوني". اهتم بالتدريس والإمامة وانظم إلى الطريقة الرحمانية عن طريق والده، كما أخذ الطريقة القادرية على عبد القادر بن الأحول . [48]

أما نسبه بالدرقاوية فيتصل بالشيخ "مولاي العربي الطويل" عن "مولاي العربي الدرقاوي" شيخ الدرقاوية . كان عدة بن غلام الله فقيها، عرف بالعدل والنزاهة والاستقامة، اشتغل بالتعليم والعبادة والإرشاد، فانتشرت طريقته من قصر البخاري شرقا إلى ثنية الحد إلى

العطاف، وغربا إلى مستغانم ومعسكر.[49]. أسس زاوية بإذن شيخه في جبل سخون بتيارت، وبنى فيها مسجدا وبيوتا لتعليم القرآن وإيواء الضيوف والفقراء.وعرفت زاويته ب: "زاوية أولاد الأكراد".[50] توفي الشيخ عدة عام 1866م ودفن بمقبرة "سيدي امحمد بن سماك" قرب مدينة تيارت، تاركا مجموعة شيوخ عرفوا بالعلم والصلاح، كان لهم الفضل في نشر الطريقة بالحزائر أمثال "الشيخ محمد الموسوم" صاحب زاوية قصر البخاري، و" الشيخ بن عبد الله الحسني" صاحب زاوية معسكر، و"الشيخ محمد بن قدور الشرقي" صاحب زاوية العطاف.[51]

5/ **الطريقة البودلمية**: تنتسب إلى الشيخ "البودالي بن عبد القادر الجباري"1910/1847م وهو أحد كبار الشيوخ العارفين بالله، اشتهر بالتربية، وظهرت له كرمات ، أخذ الطريقة عن شيخه "الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العزوي الهبري" في زاوية تاغيت، وبعد ما مكث في زاوية شيخه أياما قضاها في ذكر الإسم الأعظم في الخلوة، أمره شيخه بالسياحة ما بين سيدي بلعباس والشرق الجزائري، وأذن له بالتربية والإرشاد، فبنى زاويته في: تاخمارت في جبل أولاد إبراهيم بعين معمر لنشر تعاليم الطريقة .[52]

اشتهر الشيخ البودالي بعظمة همته، وحسن سيرته، وأخلاقه الفاضلة، وكان كثير التردد على زاوية "سيدي حمو بن الحبيب البوزيدي" بمستغانم، وذلك بأمر من شيخه . بعد وفاته، دفن بزاويته وخلفه ابنه"الحاج ابن إبراهيم البودالي" الذي كان قد أخذ الطريقة عن شيخه "محمد بن الحاج محمد الهبري العزوي" وقد أذن له هذا الأخير بالإرشاد والتربية وذكر الاسم الأعظم، فخصص زاويته لتحفيظ القرآن، وقد تخرج منها العديد من الحفظة، وأقام مسجدا للصلوات الخمس، وبنى محلات للذكر والمذاكرة. كما أسس زوايا في كل من فرندة، معسكر، سعيدة، وسيدي بلعباس... من تلامذته" الحاج المغراوي بن الحبيب" و"سيدي محمد الوجدي" و"سيدي أحمد الحبوشي" ...[53]

6/ **الطريقة المدنية**: هي طريقة صوفية متفرعة عن الدرقاوية الشاذلية، ظهرت مع أوائل القرن التاسع عشر الميلادي في حدود 1820 م بمصراتة في طرابلس على يد الشيخ "محمد بن حمزة المدني" نسبة للمدينة المنورة. أما سعد الله فيذكر أن مؤسسها هو "الحاج موسى بن

الحسين المصري الدرقاوي" الذي تخلى عن تعاليم الشاذلية في الحياد وتدخل في السياسة . [54]ويبدو أن محمد المدني هو أحد الشيوخ الذين عملوا على نشر الطريقة في بلدان المغرب العربي، ودليل ذلك إشارة سعد الله إلى الشيخ محمد المدني على أنه أخذ الطريقة الدرقاوية عن مولاي العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية. رغم ذلك، فإن" رين" يرى أنها طريقة خارجة عن الدرقاوية، حين يقول: " تشهد الطريقة المدنية اليوم طريقة مشهورة ومستقلة عن الدرقاوية الشاذلية المعروفة عند سي الميسوم بالجزائر أو حتى المغرب. "[55] ويظهر مما سبق ذكره أن المدنية طريقة درقاوية ودليل ذلك سندها الروحي. أما ما ذكره "رين" فيؤكد أن الطريقة استقلت بعد ذلك عن الدرقاوية الطريقة الأم .

انتشرت المدنية في عهد الشيخ "محمد ظافر المدني" الذي انتقل إلى المغرب، والتقى "بالشيخ العربي الدرقاوي" فأخذ عنه الطريقة ، والمدنية طريقة تميل إلى التجديد وملازمة الروح العصرية . [56]مثلها بالجزائر المقدم "يحي بن أحمد" وكان لها مجموعة زوايا في كل من أولاد نايل، وإقليم وهران، لكن بأعداد قليلة من الأتباع تحدد بزاويتين وحوالي 1600 مريدا حسب ديبون و كوبولاني . [57]

أما تعاليمها فتتمثل في التالي:

- الدعوة إلى الوحدة الإسلامية .
- تقوى الله في السر والعلانية .
- الإحسان إلى عباد الله .
- السياحة مع الفقراء .
- دوام ذكر الله تعالى .
- التواضع .

في ختام موضوعنا هذا توصلنا إلى النتائج التالية:

- تعد الدرقاوية حركة تجديد صوفي عن طريق إحياء أفكار وتعاليم الطريقة الشاذلية.

والدرقاوية طريقة صوفية مغربية تعتمد التشدد والصرامة في تعاليم الدين.

- كان للدرقاوية وظائف دينية تربوية تسعى من خلالها إلى ترقية المريد عبر المراتب والمقامات وصولا إلى درجة الإحسان باعتبارها أعلى سلم التدرج الصوفي.

- لعبت الدرقاوية أدوارا سياسية سواءا في المغرب أو في الجزائر من خلال الثورات التي قادها أتباعها ضد الحكم العثماني، وضد الاحتلال الفرنسي، فشكلت بذلك هيئة أو مؤسسة تتبنى آلام المجتمع وأماله وتضطلع بمهمة الدفاع عنه.

- كثيرا ما تمازج في الدرقاوية العامل الديني بالعامل السياسي وذلك من خلال حضورها في عديد الأحداث التي شهدتها الجزائر خلال الفترة الحديثة، إذ أصبح مصطلح درقاوي في كثير من أدبيات المدرسة الاستعمارية مرادفا لكلمة مقاوم أو ثائر.

- انتشرت الدرقاوية بخاصة في الغرب الجزائري لقربه جغرافيا من المغرب، وللتشابه الذي يجمع سكان المنطقة الغربية وسكان المغرب في التركيبة السوسيو اجتماعية .

- يجب الإشارة إلى أن كل الإحصائيات حول الدرقاوية أو فروعها بالجزائر كانت من مصادر فرنسية، لكنها تبقى نسبية للسرية التي تتمتع بها هذه الطرق من ناحية، ولاقتصارها على فترات زمنيةمحددة من ناحية ثانية.

- تفرعت عن الدرقاوية بالجزائر مجموعة طرق أخرى كالهبرية، الحبيبية، البوعبدلية، البودلمية، المدنية، والتي غالبا ما حافظت على المبادئ العامة وتعليم الطريقة الأم من تقشف ورياضة روحية واتخاذ الخلوة ...، كما تفرعت عنها العلوية والتي أصبحت بدورها طريقة جزائرية تميزت بالتفتح والتسامح مع مسايرة مستجدات العصر.

- اعتمدت العلوية على هياكل ووسائل حديثة لبث أفكارها ونشر تعاليمها كالمدارس، الجمعيات، الصحافة، المطبوعات ...، واهتمت بالتعليم وتربية النشأ حتى سميت الجمعية العلوية للثقافة والتربية الصوفية. وهي وسائل وأدوار تشبه إلى حد كبير تلك التي استعملتها الحركة الإصلاحية.

- لاتزال زوايا الدرقاوية وفروعها تنشط لحد الآن في الجزائر محافظة على التعاليم والمبادئ العامة للطريقة الأم ولو بدرجات مختلفة.

الإحالات :

[1] Rinn .l .marabouts et khouanes .Adolphe Jourdan .Alger .1884, p 241.

[2] Ibidem.

[3]-أبو درقة هو أحد العلماء العارفين الزاهدين، يرجع نسبه إلى إدريس بن إدريس الأكبر، كان كثير القيام والصيام، لقب بأبي درقة . وهي الترس من الجلود كالدرقة الكبيرة التي كان يحملها ليحتمي بها في الحروب .ابن عجيبة، الرسائل الدرقاوية، المقدمة

[4]- إسماعيل العربي .معجم الفرق والمذاهب الدينية، ص: 169 .

[5]- نعني بعلم الظاهر الشريعة، وبعلم الباطن الحقيقة .

[6]- عبد الباقي مفتاح، كيفية التربية في الطريقة الدرقاوية الشاذلية .مقال مخطوط بمكتبة مصطفى بن تهامي بمسكر، ص: 1 .

[7] -Depont et Coppolani .les confréries religieuses musulmanes ;Alger: Adolphe Jourdan 1897.p 503 .

[8]- تم إعداد هذا الشكل من قبلنا وذلك اعتمادا على مجموعة من المصادر والمراجع منها: الرسائل الدرقاوية، رسالة التجريد والتفريد، السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الهبرية، les confréries religieuses musulmanes .

[9]- عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق .ص: 01 . ويعد أبو عبد الله محمد الغماري الحسني، والشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي، والشيخ أحمد البدوي، من أبرز تلامذته .

[10]- العيد مسعود، المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني، سيرتا، العدد العاشر، أفريل 1988 .ص: 12 .

[11]-كور، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد التاسع، ص: 199 .

[12]-إسماعيل العربي، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية ، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغري ، 1993، ص: 169 .

[13]- سورة الفاتحة . الآية: 05

[14]- أحمد الشافعي، المفاخر العلية في المأثر الشاذلية .مصر: مطبعة مدبولي الألباني 1961 . ص، ص: 184، 187 .

[15]- ابن عاشر، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين .تونس: مطبعة الشاذلي الزواق .ص: 121 .

[16]- وفاة الشيخ تؤدي أحيانا إلى خروج البعض عن الطريقة الأم وتكوين طرق فرعية .

[17]- عبد الباقي مفتاح، كيفية التربية في الطريقة الدرقاوية الشاذلية، مقال مخطوط بمكتبة مصطفى بن تهامي، بلدية معسكر..ص: 04 .

[18]- سيد نور بن سيد علي، التصوف الشرعي .بيروت: دار الكتب العلمية 2000 .ص: 67 .

[19]- لمزيد من المعلومات، يراجع: بونقاب مختار، تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر .المرجع السابق .الفصل الثاني

[20]- سيد نور بن سيد علي، المرجع السابق .ص: 69 .

[21]- بونقاب مختار، تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر. المرجع السابق .ص، ص: 68، 70 .

[22]- لمزيد من المعلومات، يراجع:

. الزياني، محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران .

. الزهار، الحاج أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر

. مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر.

.المزاري، الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود .

Depont et Coppolani .les confréries religieuses musulmanes.

l.rinn .marabouts et khouanes.

Andre.p.j. contribution a l'étude des confréries religieuses musulmanes.

[23]- بونقاب مختار، تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر، المرجع السابق.ص، ص: 99، 104 .

[24] - Depont et Coppolani .op.cite.p: 509.

[25]- أحمد الهبري، اللمحة البدرية في التعريف بالطريقة الهبرية .نسخة مخطوطة في مكتبتنا كهدية من طرف المؤلف ، ص: 09

[26]- كور، المرجع السابق.ص: 204 .

[27]- مقابلة لنا مع مقدم زاوية الشيخ بن يلس بتلمسان .

[28]- شيخ الطريقة الهبرية البلقايدية بزاوية سيدي معروف

[29]- شيخ الهبرية بمرافال . وهران

[30]- شيخ الهبرية بزمورة . غليزان .

[31]- بونقاب مختار، المرجع السابق، ص: 114 .

[32]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص: 127 .

[33]- نفسه . ص: 129 .

[34] - Berque,J,.un mystique moderniste le chikh ben alioua.in r.a .n72 .1936 p.p: 691.692

[35]- رشيد محمد الهادي بن تونس، ....ص: 113

[36]- راجع: عوض الله بن الحسن مصطفى البحيصي، من أعلام الإصلاح الديني: الشيخ العلامة عدة بن تونس. مستغانم: المطبعة العلاوية .1992 .

[37]- رشيد محمد الهادي بن تونس، المرجع السابق . ص: 116 .

[38]- عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها عبر العصور، المطبعة العلوية ، مستغانم ، 1996، ص: 88 .

[39]- هذه الكلمة خصنا بها الحاج مراد ممثل الزاوية العلوية بمستغانم أثناء زيارتنا لها والاستفسار عن وجه التجديد في الطريقة.

[40]- ع.بن عبد الله،عندما تصبح الزوايا قاعدة خلفية للنشاط السياسي، جريدة السفير، ص: 12

[41]- الشيخ خالد عدلان غير ملتحي، وغالبا ما يلبس الزي الأوروبي. وهو أمر غير مألوف لدى العامة والطرق الصوفية الأخرى

[42]- ع.ميموني، الزاوية العلوية بمستغانم . جريدة الجمهورية، ص: 12 .

[43]- تصريح الشيخ مراد، المقابلة السابقة الذكر.

[44]- عبد القادر ميموني، المقال السابق .ص: 13 .

[45]- العشعاشي، السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية .تحقيق: مصطفى يلس شاوش.ص: 116 .

[46]- الشيخ محمد بن الحبيب، ديوان بقية المريدين السائرين وتحفة السالكين العارفين .ترتيب وتصحيح: أبو حفص عمر. دار الطباعة الحديثة . الطبعة الثانية، ص: 115 .

[47]- قال الشيخ عن الطريقة والتصوف السني: "فلها تصوف محرر على كتاب سنة مقرر". فالأصل حسبه هو الإسلام . أما الطرق فهي فروع لكل منها اجتهاده.

[48]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي .ص: 116 .

[49]- مصطفى العشعاشي، المرجع السابق.ص: 112

[50]- بونقاب مختار، تاريخ الطريقة الدرقاوية... المرجع السابق .ص: 51 .

[51]- رشيد محمد الهادي بن تونس، المرجع السابق .ص: 87 .

[52]- أحمد الهبري، اللمحة البدرية في تعريف الطريقة الهبرية ..... ص: 23 .

[53]- بونقاب مختار، تاريخ الطريقة الدرقاوية بالجزائر، المرجع السابق . ص: 55 .

[54]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق .ص: 122 .

[55] - .Rinn L,. marabouts et khouanes .Adolphe Jourdan .Alger .1884. p: 242 .

[56]- إسماعيل العربي، المرجع السابق .ص: 331 .

[57] - Depont et Coppolani . les confréries religieuses musulmanes .Adolphe Jourdan .Alger . 1897. p: 519.